صَبْرُ الحبيب ﷺ

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [الأحقاف: 35]

سألت السيدة عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ: «هل أتى عليك يومٌ كان أشد من يوم أحدٍ؟!» ذلك اليوم المشهود الذي اشتد بأسه على النبي ﷺ والصحابة، فقتل منهم الكثير، ووصل الأذى لرسول الله ﷺ حيث شج المشركون رأسه ﷺ وسالت دماؤه الزكية وكسروا رباعيته -أسنانه الأمامية- فهل من يوم أشد من ذلك؟!

فذكر النبي ﷺ للسيدة عائشة يومًا كان أشد عليه من يوم أُحد، فقال: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ» يذكر النبي ﷺ يوم خرج إلى الطائف لعله يجد في ثقيف حسن الإصغاء لدعوته والانتصار لها، فردوا عليه ردًّا قبيحًا، وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم، فلما أراد الخروج تبعه هؤلاء السفهاء واجتمعوا عليه صَفَّين يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتى دميت قدمه الشريفة واختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه

ويستطرد النبي ﷺ متذكرًا تلك الذكرى الأليمة فيقول: «فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ:إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ؟» وهما جبلان محيطان بالبلد، فتجلى جانب عظيم من شخصيته ﷺ، وهو الصبر وتحمل الأذى في سبيل الله، لقد نظر رسول الله ﷺ إلى أبعد مما هو فيه اليوم رغم الأذى الكبير الذي لحق به فقال ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» (رواه البخاري).

مقابلة محمد ﷺ لضروب الأذى بالصبر

قال جوستاف لوبون: «كان محمد يقابل ضروب الأذى والتعذيب بالصبر وسعة الصدر... فعامل محمد قريشًا - الذين ظلوا أعداءً له عشرين سنة - بلطف وحِلم».

وقال أيضا: «إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم؛ كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمدًا مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله».

جوستاف لوبون

طبيب ومؤرخ فرنسي.

www.withprophet.com

www.withprophet.com

يالله!! كم أوذيتَ في سبيل الله فصبرتَ!! بل تعدى صبرُك وحلمُك إلى أن تجاوزتَ عن حقِّ نفسك في سبيل إبلاغ رسالة ربك، وأنت في كل ذلك ثابت صابر ترجو من ربك النصر وتنتظره، وحرصًا منك أن يُخرج اللهُ من أصلابِ هؤلاء الكافرين من يُوحِّد الله، وقد كان.

وتزخر سيرته ﷺ بوقائع عديدة تشهد على صبره ﷺ في كل مجالات الصبر وأنواعه، ومن صور ذلك:

صبر الحبيب ﷺ على أذى المشركين

صبر رسول ﷺ على أصناف كثيرة من الآلام والمشاقّ والمحن، فقد آذاه المشركون، ورموه بالكذب، والكهانة، والسحر... وهو في كل ذلك صابر ثابت محتسب يبلغ رسالته ويدعو أمته.

حتى إن المشركين من قومه ﷺ تجاوزوا معه كل قيم الخلق والأدب واللباقة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ»

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: «أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ، فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ -وَهُوَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ- فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ»

قَالَ: «فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتُمُهُمْ» (رواه البخاري)، بل بلغ بالمشركين الوقاحة، فبينما رسول الله ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه، ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ؟!» (رواه البخاري).

واشتد أذى المشركين للنبي ﷺ وأصحابه، حتى جاء بعض الصحابة يستنصر الرسول ﷺ من شدة ما لقوا من أذى المشركين، فقالوا: (ألا تستنصر لنا؟! ألا تدعو لنا؟!) فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن قال لهم: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» (رواه البخاري).

وحبسته ﷺ وأصحابَه قريشٌ في شِعْب أبي طالب قرابة الثلاث سنين لا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم، حتى يسلِّموا إليهم محمدًا ﷺ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة، وبقوا محصورين محبوسين، حتى بلغ بهم الجهد مبلغه، ومات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر، وماتت خديجة بعده بعدة أيام، واشتد البلاء على النبي ﷺ بموتهما، وتجرأ عليه السفهاء وآذوه أشد إيذاء.

وظل النبي ﷺ يدعو إلى عبادة الله وحده قائلًا: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا»! (رواه أحمد) وإذا بعمه أبي لهب يتبعه حيث ذهب ويقول: «إنه صابئ كاذب»، فلم ينثنِ ﷺ ولم تضعف عزيمته ولم يفقد صبره، لأنه مستعين بربه واثق في نصره متوكل عليه. صلى الله عليك يا رسول الله في الأولين والآخرين؛ فقد أديت الرسالة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده.

www.withprophet.com

www.withprophet.com

صبر الحبيب ﷺ على أذى المنافقين

قسم النبيُّ ﷺ الغنائمَ، فقال رجل: والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله! فأخبر النبي ﷺ، فشق ذلك عليه وتغير وجهه وغضب، ثم قال: «قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَرَ» (رواه البخاري).

كان المنافقون في غاية الأذى للنبي ﷺ حتى إنهم طعنوا في عِرْضه الشريف ﷺ وذلك في حادثة الإفك، فصبر ﷺ حتى أظهر الله براءة السيدة عائشة رضي الله عنها، ولم ينل أو ينتقم النبي ﷺ ممن خاض في عِرْضه، بل صبر واحتسب ذلك عند الله.

هل يمكن للحياة أن تستقيم لأي إنسان دونما تكدير أو تنغيص، أو ابتلاءات، أو مصائب؟ ولماذا؟

صبر الحبيب ﷺ على أذى اليهود

تحمَّل رسولُ الله ﷺ أذى اليهود المستمر والعظيم، حتى إنهم حاولوا قتله ﷺ أكثر من مرة، ومنها: «أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ (لَا)». قَالَ أَنَسٌ: «فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ» (رواه البخاري).

صبر الحبيب ﷺ على مشاق الحياة وشدتها

صبر النبي ﷺ على خشونة العيش، وشدة الجوع، فربط على بطنه حجرين من الجوع ﷺ، وكان صوته يضعف من شدة جوعه، فمنها ما جاء في قصة أحد الصحابة مع زوجته وقوله لها: «لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟» قَالَتْ: «نَعَمْ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ثُمَّ أَدْخَلَتْهَا فِي خِمَارٍ لَهَا، ثُمَّ أَرْسَلَتْ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (رواه البخاري)

وورد عنه ﷺ أنه قال: «لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلَا لِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبِطُ بِلَالٍ» (رواه أحمد).

تخيَّل هذا رسولَ الله ﷺ يصبر على مثل هذا الجوع إلى هذا الحد؟!

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة: «ابن أختي، إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار، فقلت: ما كان يُعيِّشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كان لهم منائح -جمع منيحة وهي كالعطية-، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم فيسقيناه» (رواه البخاري).

أما عن فراشه ﷺ فقد كان ﷺ ينام على الحصير حتى أثَّر في جنبه، فيراه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على تلك الحال فيبكي! فيقول له ﷺ: «مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» فيقول: يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثَّر في جنبك؟! وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى؟! وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله ﷺ وصفوته! وهذه خزانتك؟!

www.withprophet.com

www.withprophet.com

فيضرب الرسول ﷺ المثل الأعلى في الصبر ويحلق في معاني الإيمان والأمل بما عند الله والدار الآخرة قائلًا: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ؟!» (متفق عليه).

- هل على المسلم أن يسعى لتحسين وضعه الاقتصادي والعلمي والاجتماعي؟ أم يصبر على ما هو عليه؟
- على ماذا يدل تخصيص الصبر بالأجر بلا حساب؟ وماذا يستدعي ذلك؟

صبر الحبيب ﷺ على آلام المرض

دخل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقال له: يا رسول الله، إنك توعك وعكًا شديدًا. فقال ﷺ: «أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ». فقال ابن مسعود: ذلك أن لك أجرين؟ قال: «أَجَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلاّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا» (رواه البخاري).

صبر الحبيب ﷺ على طاعة الله

لم يقتصر صبره ﷺ على الأذى والابتلاء والكرب، بل شمل صبره الصبر على طاعة الله سبحانه وتعالى حين أمره ربُّه بذلك فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35] وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132] فكان ﷺ يجتهد في العبادة والطاعة حتى تتفطّر قدماه من طول القيام، ولا ينفك عن القيام بطاعة أو قربة لله عز وجل، شعاره في ذلك كله: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟» (متفق عليه).

لماذا حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات ..؟ وما الحكمة من ذلك.

صبر الحبيب ﷺ على المصائب

مات عمه أبو طالب، وتوفيت زوجته خديجة، وتوفي أولاده كلهم في حياته إلا فاطمة، وقتل عمه حمزة، فصلوات ربي وسلامه عليه، بل إن آخر أولاده (إبراهيم) مات بين يديه وعمرُه سنتان، فكان ينظرُ إلى ابنِه الحبيب القريب من القلب، ودموعُه ﷺ الحارةُ تتساقط على خدِّه وهو من أصبرِ الناس ويقول: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ، يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ» (رواه البخاري).

www.withprophet.com

www.withprophet.com

ماتت خديجة زوجته العاقلة الرشيدة، الحازمة المرباة في بيتِ النبوة، التي كانت تؤيده وتنصره، ماتت وقت الأزمات، ماتت في العصرِ المكي يوم تألَّبت عليه الجاهلية، وقد كانت رضي اللهُ عنها ساعِدَه الأيمن.

لقد كانت وقائع سيرة النبي ﷺ مدرسة للصابرين، استلهموا منها حلاوة الصبر، وبرد اليقين، ولذة الابتلاء في سبيل الله، والصبر على طاعته والبعد عن معصيته، فلم يتغير ﷺ ولم يتبرم أو يتسخط، وإنما استمد الصبر من تعلقه بالله وابتغاء ما عنده سبحانه وتعالى.

هل ترى الابتلاءات التي مر بها الرسول ﷺ عبر حياته توقفت في مرحلة معينة من حياته؟ ولماذا برأيك؟

كيف تقتدي به ﷺ

1. اقرأ سيرته ﷺ وتأمل صبره ﷺ في الشدائد والأزمات التي مر بها، ولك فيه ﷺ القدوة والأسوة الحسنة.
2. إذا أوذيت في نفسك أو في أهلك، فلستَ وحدك على الدَّرْب، وتذكَّر نبيك ﷺ وكيف أوذي بما هو أكثر من ذلك فصبر، وليتعلق قلبك بما عند الله للصابرين.
3. اصبر كما صبر ﷺ، وكما صبر أولو العزم من الرسل، وتذكر أن الله يجازي على الصبر بأكثر مما يجازي على غيره، بل يعطي عليه بغير حساب ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر:10].
4. لا تثنيك العقبات ولا المشكلات عن الدعوة إلى الله، واعلم «أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ» كما أخبر ﷺ (رواه أحمد).
5. اصبر على ترك المعصية ولو رغبت فيها نفسك، واصبر على الطاعة ولو كرهتها نفسك، فقد قال ﷺ «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» (رواه مسلم).

www.withprophet.com